لفظ المحبة وإيقاع الدلالة الصوفية في شعر الشيخ أحمد بن مصطفى المستغانمي(ت 1353هـ- 1934م).

The Expression of Love and the Rhythm of Sufi Signification in the Poetry of Sheikh Ahmed bin Mustafa Al-Mostaghanemi (d. 1353 AH - 1934 AD).

فاطمة رحماني[*1]؛ العيد علاوي[2].

[1] - مخبر الأدب واللغات؛ المركز الجامعي نور بشير البيّض (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *f.rahmani@cu-elbayadh.dz*

[2] - مخبر الأدب واللغات؛المركز الجامعي نور بشير؛ البيّض (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *l.allaoui@cu-elbayadh.dz*

تاريخ الإرسال: 2025/10/06؛ تاريخ القبول:2025/11/09؛ تاريخ النشر:2025/12/15.

الملخص:

تتبّع هذه الدراسة لغة الخطاب الصوفي لدى الشاعر الجزائري الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، وتنطلق من فكرة ارتباط الشعر العربي بالمشافهة(الإلقاء) والسماع اللذين تتأسس عليهما الموسيقى الخفية المُشكّلة للجرس الإيقاعي.

وتهدف إلى إبراز أثر اختيار الألفاظ وآلية توظيفها في توليد الدلالة وتحقيق الجمالية. ولعل القارئ يدرك أن التكرار على مستوى الألفاظ من الآليات البارزة في النماذج الشعرية المدروسة، وأنه يأخذ

*المؤلف المراسل.

أبعادا دلالية تتطلّب نشاطا تأويليا معرفيا فريدا يُجلي المعاني ويحقّق التواصل والتفاعل مع الخطاب.

الكلمات المفتاحية: المحبة؛ دلالة الألفاظ، الخطاب الصوفي؛ الإيقاع الشعري؛ الشيخ أحمد العلوي المستغانمي.

Abstract:

This study explores and sheds light on the language of Sufi discourse in the poetry of the Algerian poet Sheikh Ahmed bin Mustafa Al-Alawi Al-Mostaghanemi. It begins from the premise of the connection between Arabic poetry and orality (recitation) and listening, upon which the subtle music that shapes rhythmic resonance is based.

The aim of the current research is to highlight the impact of word choice and the mechanisms of its use in generating meaning and achieving aesthetic value. The reader may observe that repetition at the lexical level is one of the prominent stylistic device in the poeticsamples analyzed; this repetition carries deepsemantic dimensions that require a unique cognitive interpretive effort. This effort brings out the meanings and enables communication and interaction with the discourse.

Keywords: Love; lexical meaning; Sufi discourse; poetic rhythm; Sheikh Ahmed Al-Alawi Al-Mostaghanemi.

مقدمة:

يتبوأ الاهتمام بسير الأعلام وتراثهم الأدبي والفكري مكانة لا يستهان بها في تاريخ الأمم والمجتمعات، فلقد اهتم المؤرخون منذ عصور متقدمة بالأعلام وسيرهم وتراجمهم، فأُلّفت المعاجم والموسوعات التي حفظت للأجيال اللاحقة تراثهم ومكنتهم من التواصل مع سلفهم.

تنخرط هذه الدراسة الموسومة بـ: "لفظ المحبة وإيقاع الدلالة الصوفية في شعر الشيخ أحمد بن مصطفى المستغانمي(ت 1353هـ/

*المؤلف المراسل.

1934م)" في هذا الإطار؛ ذلك أنها تسعى إلى التعريف بأحد أعلام الجزائر الشيخ أحمد بن مصطفى المستغانمي، من خلال الكشف عن لغة الخطاب الشعري الصوفي لديه، وقد سلكنا في سبيل ذلك خطة قامت على ثلاثة محاور:

عُني المحور الأول بترجمة الشيخ أحمد بن مصطفى المستغانمي، وهنا حاولنا تجاوز تكرار ما جاء في الدراسات السابقة بعرض ما جاء فيها وتقييمها.

وعالج المحور الثاني موقع اختيار الألفاظ من فاعلية الخطاب، وبدا لنا أن المسألة في غاية الأهمية من خلال استعراض وتتبع أقوال العلماء والنقاد قديما وحديثا في موقع اختيار الألفاظ في الكتابة والإنشاء والإبداع والتجديد في الأدب والنقد الأدبي.

وتناول المحور الآخر موقع تكرار اللفظ من فاعلية الخطاب، وذلك ببيان دور التكرار في السبك، وعرض نماذج من مدونة الشيخ المستغانمي الشعرية، واستهل المقال بمقدمة تعرّف بالموضوع، واختتم بخاتمة تبرز النتائج المستخلصة.

1. ترجمة أحمد بن مصطفى المستغانمي:

أردنا في هذا المحور أن نقدم ترجمة تكون أرضية للتعرف على الرجل قبل تلقي خطابه الشعري، فوجدنا أن الدراسات السابقة قد أفاضت في عرض ترجمته بما يكفي ويُغني، ومن تلك الدراسات نذكر:

-الشيخ أحمد بن عليوة المستغانمي (1869-1934) مكانته الدينية والعلمية بين التعظيم والتقزيم لصاحبها بن مزوز عامر، فقد

*المؤلف المراسل.

عرضت هذه الدراسة أصله ونشأته وتعليمه وانتسابه للتصوف، وسمات شخصيته بأقلام معاصريه، وتأسيسه للطريقة العلاوية، ونشاطه الديني والصحفي، وآثاره المنشورة والمخطوطة في التصوف والفلسفة والتفسير والعقيدة والفقه، ورجع الباحث في ذلك إلى مصادر ومراجع عديدة منها: مجلة البلاغ الجزائري، الروضة السنية في المآثر العلاوية لعَدّة بن تونس، صراع بين البدعة والسنة لأحمد حماني، أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ودراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلاوية ليحي بعيطش، كتاب ملتقى التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الرابع لأبي القاسم سعد الله...، وغيرها(بن مزوز، 2022: 562-590).

-الحقوق الإنسانية في الشريعة الإسلامية من خلال مخطوط الأجوبة العشرة للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي لصاحبها عصام طوالبي الثعالبي، أورد الكاتب من غير قصد في ثنايا بحثه بعض الجوانب المتعلقة بسيرته، فبعد إشارته إلى أن الرجل ما يزال مجهولا لدى كثير من أبناء وطنه عدّد أوصافا له وصفه بها بعض الأعلام من أقطار مختلفة، ومنها: وصفه بالمرشد الكامل، والعارف الرباني، وجامع الحقائق، والولي الكامل الرباني. وأشار أيضا إلى العائلة التي ينحدر منها وميراثها العلمي والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها، وشيخه في الطريقة، وتوليه المشيخة، وبعض مبادراته الإصلاحية والمؤلفات التي خلّفها (طوالبي الثعالبي، 2017: 10-43).

-الاجتهاد عند الشيخ أحمد بن مصطفى المستغانمي لصاحبها عصام طوالبي الثعالبي، حري بالذكر أن الكاتب في هذه الدراسة

*المؤلف المراسل.

ساق بعض الجوانب المتعلقة بحياة الشيخ التي أشرنا إليها في دراسته السابقة، وسجّلنا استفاضته في ذكر الأوصاف التي وصفه بها بعض الأعلام، ولم يكتفِ بالأوصاف بل ساق النصوص التي جاءت فيها، واستدرك في المبحث الثاني بنفيه التطرق إلى سيرة الشيخ والاكتفاء بالتذكير بأهم مراحل حياته وملامح التجديد لديه التي جاءت أيضا في دراسته السابقة، ومنها تجديد الخطاب الديني بالدعوة إلى نبذ التقليد، والوسطية، ونبذ الغلو، والوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية، وفتح باب الاجتهاد، والتسامح الديني(طوالبي الثعالبي، 2017: 36-50).

-ظهور الإصلاح الصوفي في الجزائر الكولونيالية: حالة الشيخ أحمد مصطفى العلاوي المستغانمي(1869-1934) لصاحبها مصطفى راجعي؛ تميّزت هذه الدراسة بتناولها للإصلاح الطرقي ممثلا في جهود الشيخ أحمد مصطفى العلاوي مؤسس الطريقة العلاوية في العشرينات التي أدخلت إصلاحات على التصوف الجزائري لم تكن مسبوقة، فبيّنت الدراسة أنه مع احتلال الجزائر فقدت الزوايا وظائفها التقليدية المتمثلة في دور الوساطة بين القبائل والحكومة المركزية، التحكيم في النزاعات القبلية، وظيفة تقديم الخدمات للمسافرين، تراجع الدور التعليمي للزوايا، ورصدَ الدار س أهم مظاهر الإصلاح الديني لدى الشيخ العلاوي ومنها: تلقين التعليم الصوفي للرجال والنساء، كونه أول شيخ ملك سيارة وهاتفا ومطبعة وأسس صحفا أسبوعية، توسيع التجربة الروحية لتشمل البسطاء والنخبة، دعم المسرح، المشاركة في وضع حجر أساس مسجد باريس 1926(راجعي، 2013: 150-157).

*المؤلف المراسل.

بعد مواجهة هذه الدراسات رأينا أن نقتصر على ترجمة موجزة للشيخ بالعودة إلى "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام على العصر الحاضر لعادل نويهض"، فوجدنا أيضا أن "حبيب بوسغادي" صاحب دراسة " حضور المصطلح الصوفي في قصائد الشيخ أحمد العلاوي- قصيدة دمعي مهطال نموذجا" رجع إليه مع مراجع أخرى نحو: الأعلام للزركلي، الأعلام الشرقية لزكي محمد مجاهد، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب لبلهاشمي بكار. ولعل النظر في أعماله حمله على وصفه بأنه فقيه وشاعر وأديب ومفسر وقاضي ومتصوف(بوسغادي ، 2020: 14-37).

ويُكتفى بالقول: هو أحمد بن محمد بن أحمد المستغانمي، المشهور بالعلوي، وبابن عليوة، ولد في 1291هـ(1874م) والمتوفى في 1353هـ (1934م). خلّف جملة من الآثار نذكر منها: المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطرق الصوفية، القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول، لباب العلم في سورة النجم، دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار ﷺ، نور الإثمد في سنة وضع اليد على اليد، الرسالة العلوية منظومة في أصول الدين، القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد، تفسير سورة العصر، "اللّه، القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد"، رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، ديوان شعري(نويهض، 2015: 374-375).

ويمكن القول بأن الشيخ المستغانمي العلوي شخصية إشكالية، ويُستشف هذا من خلال الدراسات والأبحاث التي أُقيمت

*المؤلف المراسل.

حوله، وفي مقدمتها الدراسة السابقة التي وقفت على مكانته العلمية بين التعظيم والتقزيم، وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى أن الأمة الجزائرية اليوم هي أحوج من أي وقت مضى إلى الالتفاف حول تراثها وأعلامها بعيدا عن التقزيم واحتقار الذات، واستثمار ما جاء فيه(التراث) من رؤى وأفكار تسهم في حفظ الهوية وتبعث على الاعتزاز.

2. موقع اختيار الألفاظ من فاعلية الخطاب:

أولى النقاد العرب عبر مختلف العصور أهمية كبرى لاختيار اللفظ في الخطاب، وتحدّثوا عن موقع اللفظ من الخطاب، وفاعلية الخطاب بألفاظ دون أخرى فـ"الراغب الأصفهاني" «يعتبر أن البلاغة إجادة اختيار الألفاظ والإصابة في تأليفها وقدرها ومعناها وتحري الصدق فيها، ولا يكون الكلام تام البلاغة ما لم يجمع هذه المعاني...» (الأصفهاني، 2007: 152)، وذهب صاحب "المثل السائر" إلى أن الصناعة اللفظية تنقسم إلى قسمين، القسم الأول المتعلق باللفظة المفردة يحتاج صاحبه في تأليفه إلى ثلاثة أشياء يأتي في مقدمتها اختيار الألفاظ المفردة ثم نظمها مع أختها المشاكلة لها ثم الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه...، (ابن الأثير، د. ت: 163) يظهر من خلال هذا أن اللفظ يحتل موقعا في بلاغة الخطاب التي يُنظر فيها إلى فصاحته(اللفظ) ونظمه مع ما يشاكله، وعلى قدر تفوق المتكلم في ألفاظه، وقدرته في ضمها بمراعاة تآلفها، يُحكم بتمام بلاغته أو نقصانها.

*المؤلف المراسل.

ومما جاء في ذم الكتابة والإنشاء قولهم: فلان من ضعفة الكُتّاب...، سيئ اختيار الألفاظ...،(اليازجي، 1905: 34) وعُدّ اختيار الألفاظ أيضا من أصعب المهمات، وفي هذا الشأن يقول "ابن المدبر": «وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ولا يحسن في مكان غيرها...» (بن المدبر، 2002: 31). ويذهب "محمد الخضر حسين" في باب"تأثير اللغة في الفكر" إلى أن «الرجل الذي يريد أن يؤدي المعنى في صورة منتظمة يفكر في اختيار الألفاظ والأساليب أكثر مما لا يبالي أن تقع صور المعاني في ذهن مخاطبه مبهمة مختلطة...» (الخضر حسين، 2012: 16)، وفي موضع آخر في حديثه عن "الشعر وحقيقته" أكد على أنه "كان من حق الشاعر اختيار الألفاظ التي يكون بها المعنى أقرب إلى الذهن..."(الخضر حسين، 2012: 154). وغير بعيد من هذا مذهب "أحمد أمين" الذي يرى أن من أنواع التجديد في الأدب تجديد الألفاظ لأنها مادة الأديب الأولية وخيوطه التي ينسج منها قطعته الفنية، وأن من أشكال تجديد الألفاظ اختيار الألفاظ التي تناسب العصر ويرضاها ذوق الجيل الحاضر...(أحمد أمين، 1933: 8)، ونراه في مقام آخر يؤكد أن لغة الشعر غير لغة النثر، وأن المقصود بحديثه هذا أن للشاعر ملكة يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث للمشاعر...(أحمد أمين، 1933: 7)، وهنا تتجلى الأهمية التي أولاها النقاد حديثا وقديما لتخير اللفظ في الكلام وغير هذه الأقوال كثير وليس هذا مقام حصرها وجردها، فيكفي أن من القدماء من اعتبر اختيار اللفظة شرطا من شروط الكلام التي يسلم بها المتكلم من الزلل،

*المؤلف المراسل.

(الماوردي، 1985: 283) ومن المحدثين من جعل ذلك قاعدة من قواعد النقد الأدبي في العربية. (ناجي، 1939: 1642 -1643) ولا يخفى علينا أن المتصوفة يجنحون إلى الرمز من باب التوقي والسلامة، إذ الرمز خلق ذاكرة ثانية للفظ المُتخيّر، وبهذا يغدو ظاهرة فنية تسم الخطاب بالانفتاح والدلالة بالاتساع.

ولما كان اللفظ وسيلة لإدراك الشعور في العمل الأدبي، وهو عند الصوفي العارف يحمل تلك الحقائق الصوفية، وتظهر قيمته الجمالية والانسجام الإيقاعي في التركيب لأن الفن يتطلب انسجاما بين جميع الأجزاء... (الصاوي، 1979: 193)، فقد ألفينا ذلك ظاهرا في أبيات الشيخ أحمد العلوي المستغانمي في وصف الخمر. (اُنظر الملحق رقم 1) فحال العاشق المضطربة بادية من خلال هذا النص الذي يُظهر أن المعشوقة (الخمرة) عزيزة، والعاشق ذليل خاضع؛ اجتمع لديه الشقاء والسعادة بحبها، فتوثيقها إياه عذاب وشقاء، وفناؤه في حبها بقاء، وإذا انطلقنا من حال المحبين الذين كانوا يرون في الوصل ولقاء المحبوب عيدا، ويجدون فيه راحة ولذة، فإن المعادلة الصعبة التي وضعنا أمامها الشاعر هي رؤيته أن الوصل يقتضي عتقا والعتق يُخشى به التفريق، فالخطاب يؤكد أن حال الوجد والشوق عند أهل العرفان لا نهاية له، لأن الشوق لا يهدأ إلا باللقاء، واللقاء لا يكون إلا في الآخرة، عند فوز أحباب الحق بالنظر إلى وجهه الكريم.

3. موقع تكرار اللفظ من فاعلية الخطاب:

*المؤلف المراسل.

يذهب علماء لسانيات النص إلى أن التكرار ظاهرة لغوية يتحقق بها السبك المعجمي بين المفردات أو الألفاظ، والتكرار المقصود هاهنا تكرار لفظتين درجهما واحد، فمثل هذا التكرار يعد ضربا من ضروب الإحالة إلى سابق وبذلك يحدث السبك بينهما...(جميل، 1998: 79) وتكرار الألفاظ ظاهرة بارزة في خطاب العلوي المستغانمي، إذ يُستشف أن التكرار يصوّر حالة المتصوف القلقة المضطربة، فالمتصوف دائم الاضطراب والقلق، وحيث لا يكون الاضطراب فلا وجود للتصوف، ويظهر هذا الحال الصوفي من خلال الجرس الإيقاعي للفظتين المكررتين في البيت الثاني (رفقا بمن يرتضيك رفقا...) كما تكرر معنى اللفظة في نفس البيت بقوله (مهلا...) فكأنما هو تواصل بين ظل الفكرة المعبرة عن حال القلق والتوه والبعثرة وتشتت الفكر واضطراب النفس، فتكرار لفظة (رفقا) بصيغتها ومعناها لم يغير من دلالات هذا اللفظ، ويبدو أيضا أن تكرار هذه الألفاظ ناتج عن الشوق إلى الحضرة الإلهية.

وبما أن «التكرار على إطلاقه هو منبع الإيقاع الداخلي، فالكلام كله صدى وإيقاع لما فيه من تكرار الأصوات...غير أن أظهر أنواع التكرار في الحس ما انتظم منها بصفة من صفات الانتظام...». (حبار، 1997: 29) نتلمس أثر هذا التكرار المنتظم في قول شاعرنا(أُنظر الملحق رقم2)، فسيدي أحمد بن مصطفى العلوي يوضح بألفاظ متجانسة في إيقاعها نظرية خلق الكون(كنا والكون كان...) رتقا قبل فتق الفتق، فتوالي هذه الألفاظ وترددها في نظام موسيقى منسجم يوحي ببدء الخلق في ظاهر البيت ويخفي حقيقة صوفية متمثلة

*المؤلف المراسل.

في الفناء والبقاء، فبالفناء يكون التوحيد وبالبقاء يظهر التفريق، ويفسّر هذا الأبيات التي تلت، حيث توزعت في هذه الأبيات، المعاني المتضادة الجامعة بين الفناء والبقاء، بألفاظ تكررت بانتظام (إن فنيت....نبقى وإن بقيت نبقى رقيق) (فلعزتك ذلي يبقى...) فالتركيز على هذا الحال الصوفي الذي فرضه الشوق يتضح في تكرار دلالة هذين اللفظين (الفناء والبقاء) وتوزيعهما في الأبيات « وهذا ما يضاهي الأثر الإيقاعي الفيزيائي على الأذن أو الحس، ونعني بالتقارب الدلالي، تكرار ألفاظ وجمل مختلفة المباني متقاربة المعاني، كأن تكون من المشتقات والمترادفات أو تكون ذات اهتمام دلالي مشترك...» (حبار، 1997: 29). فالمحبة عند أهل التصوف حال شعوري ومذاق إيماني عبّر عنه الشاعر من خلال تكرار ألفاظ بعينها أو بمعناها(اُنظر الملحق رقم 3). فنقف هنا عند الغرام والحب والهُيام، فتصير المحبة لدى أهلها مالا يستغنون به، والذكر مدام ينتشون به، ويغيبون به عن واقع الناس.

1.3. تكرار لفظة الحال:

الحال عند الصوفية هو« المواهب الفائضة على العبد من ربه إما واردة عليه ميراثا للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب، وإما نازلة من الحق امتنانا محضا، وإنما سميت أحوالا لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية وإدراكات العبد إلى الصفات الخفية ودرجات القرب، وذلك هو معنى الترقي» (القاشاني، 1981: 26). لقد تردد تكرار لفظة الحال المعبرة عن شوق الصوفي واضطرابه، إذ في قوله:

فَزَادَتْهُمُ اِصْطِلاَمْ حَالاً عَلَى حَالِ

*المؤلف المراسل.

يتضح تضاعف حال المحبة بعد أن دارت كؤوسها في الحضرة الإلهية التي اشتاق إليها الشاعر وتطلع ليكون من أهلها، موضحا هذا الحال بقوله:

قُلْتُ لَهُمْ يَا كِرَامْ هَلْ تَرْضُوا بِحَالِي

وكان رد القوم:

فَقَالُوا لِي يَا غُلاَمْ إِذَا كُنْتَ خَالِي

ومعنى هذا ألا يكون في قلب السالك شيء من علائق الدنيا يقلل تلك المحبة، فيخلو قلبه من كل شيء إلا من شوقه للحضرة الإلهية. فتوالي اللفظة وتكرارها وتجانسها مع لفظة خالي، والجناس بين حالي وخالي أعطى الأبيات جمالا نغميا تتلقفه أذن السامع، وبالتالي يقع في النفس، فحال هذا الصوفي من خلال الأبيات حال الصاحي الذي يتطلع إلى السكر، والبعيد الذي يتطلع إلى القرب، وهذا ما يتجلى قوله:

فَقُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ قَوْلَكُمْ فِي بَالِي
وَلَكِنَّ يَا كِرَامْ أَشْفِقُوا مِنْ حَالِي
إِنِّي كَثِيرُ الآلاَمْ ضَعِيفُ الأَعْمَالِ

يتجلى هذا الحال في المقطوعة بتجانس ألفاظ وتكرارها الذي أضفى عليها موسيقى زادت من جمال الإيقاع الداخلي وذلك مثل (الغرام، كرام، حالي، خالي، بالي، مالي...)، فهذا الانتظام المسجوع والمتجانس أقام للشاعر الصوفي قصدا، من خلاله أرسل إلى ذهن المتلقي معاناته في حال الفراق والبعد وشوقه إلى مجال السكر والحضور في الحضرة الإلهية.

*المؤلف المراسل.

2.3. تكرار لفظة المحبة:

يدل لفظ المحبة على أسمى العواطف الروحانية والأذواق الصوفية التي تربط العبد بخالقه وهي سمة العارفين وهي أصل كل حال ومقام، فلولا المحبة ما كان الشوق إلى اللقاء، وما كان سكر وطلب القرب، وما كان الاضطراب، وما كان الأنس، وما كانت التوبة، وما كان القبض، وما كان البسط « لأن العلاقة الإيمانية الصحيحة هي الجامعة بين الخوف والحب والمستشعرة لهيبة الجلال وتعالي الكمال، ومن ثم أكد رجال الطريق على أن الحب الصحيح هو الذي يذل العبد للّه وعلى أن من عرف اللّه من طريق المحبة والخوف أحبه اللّه فقربه وعلمه ومكنه، فالمحبون يهابونه في حبهم، وفي فزعهم منه يشتاقون إليه، وفي بسطهم له ينقبضون بين يديه، وفي إعزازه لهم يذلون له، وللمحبين الانقباض في البسط وللخائفين البسط في القبض... »(الشاذلي، د. ت: 29). ويظهر أن الحب استولى على المحب (أُنظر الملحق رقم 4)، فآثر المحبوب وتخلى عن الدنيا، وغيبه هذا الحب عن الكون بأسره، لما أنست روحه بنار الأحبة، كما أنست روح سيدنا موسى، فترك أهله وماله ليهتدي إلى مقام الحيرة، وفي ذلك يقول "ابن عربي" «من لم يقف في حيرة لم يعرفني ومن عرفني لم يدرك الحيرة... في الحيرة تاه الواقفون وفيها تحقق الوارثون، وإليها أعمل السالكون، وعليها اعتكف العابدون وبها نطق الصديقون وهي مبعث المرسلين ومُرتقى همم النبيين، فلقد أفلح من حار، فمن حار وحّد ومن وحّد وجد، ومن وجد فني، ومن فني بقي، ومن بقي عُبد، ومن عُبد جازى ومن جازى فهو الأعلى...». (بن عربي، د. ت: 218) وهنا نجد شاعرنا

*المؤلف المراسل.

ينتقل من مقام الحيرة إلى مقام الوقوف بباب الحضرة الإلهية، مشيرا إلى ذلك بتكرار لفظة خلعت في قوله:

خَلَعْتُ النَّعْلَيْنِ بَلْ خَلَعْتُ مَا عَلَيْها وَمَا دُونَهاَ كَذاَ الوُجُودُ بِخَلعَتِي

فالشاعر في حال التخلي عن مكدرات القلب وما يشغله بالتفريق ليذهب إلى حال الفناء. فألقت لفظة "خلعت" المكررة ظلالها على حال الفناء، الذي قصده الشاعر، فالوقوف بباب حضرة الإلهية يلزم الشاعر الصوفي الأدب، والأدب عند أهل العرفان اجتماع الخير في القلب وصفاء النفس وكمالها، فتخلع كل متعصب لهذا ومكدر لتكون أهلا لطلب إذن الدخول إلى الحضرة الإلهية، وأرقى نفسا لتصل إلى مقام الفناء . فكان تكرار اللفظ وإضفاء الحس الإيقاعي والموسيقى إصرارا على الصفاء واستعدادا للوقوف بباب الحق. وبما أن الصوفي يترقى في مقامات السالكين ويتقلب بين صفات الجمال والجلال فتؤنسه الأولى وترهبه الثانية.

يعود الشاعر إلى حال البقاء إذ يقول (راجعت نفسي) موقعا جرسا موسيقيا تتلقفه الأذن بين اللفظين (تحقيق حقها) من خلال التكرار الذي أقام للشاعر قصد التحقق في مقامات الصفاء لأن الواقف أمام « باب الحضرة الإلهية ينقطع إلى الله على الحقيقة فلا يرِد عليه ما يشغله عن الله»(الشاذلي، د.ت: 30). فالصدق في الانقطاع عن علائق الدنيا والتوجه إلى الحق، أهّل الشاعر إلى أن يصبح نورا في صورة نار الشوق إلى اللقاء، فالجناس بين اللفظتين نور ونار بمثابة جناس بين مقامين صوفيين صفاء وشوق، فالنار تولد نورا والشوق يولد صفاء، وبهذا استقام للشاعر عمق الدلالة في لفظتي نور ونار.

*المؤلف المراسل.

ومبدأ الإيقاع التكراري، ووظيفته المساهمة في توضيح الدلالة واستقامة القصد للشاعر، جعله يكرر في البيت الموالي (العشاق في العشق)، توضيحاً لاضطراب النفس العارفة في نار الشوق التي يصلها العاشق ليلقى الحق، فهذا العشق يؤثر في النفس ويحدث انقلابا يعجز الإنسان على السيطرة عليه، إذا لم يملك العاشق تلك الطاقات الباطنية المتمثلة في تحقق الأنس بالصفاء، وتكرار لفظة (الحق حقيقة) مرة أخرى جعل المعنى ينبعث من النفس الشاعرة إلى المتلقي، ليشاركه في هذا الأنس الذي هو(شعاع الحق والحقيقة) أو نور ينعكس في قلب صافٍ كما تنعكس الصورة في المرآة الصافية.

وتوزيع لفظ الكينونة في البيت الموالي حاملا إحدى الحقائق الصوفية المتمثلة في إيجاد الكون بعد العدم يقول الشاعر: "وكن كأن لم تكن.. كائنا، لأنك لم تكن" ليتكرر ذلك في البيت الموالي من خلال لفظ الكينونة في قوله:

فَارْجِعْ بَصَرَ التّحْقِيقِ مِنْ بَعْدِ كَرّةٍ فِي كُنْهِكَ مِنْ أَنْتَ بَعْدَ الكَيْنُونَةِ

فمن شأن هذا التكرار أن يحدث إيقاعا يؤنس السامع، ومن خلاله أراد الشاعر أن يذكّر المتلقي بمن أوجده من عدم، ليؤكد في البيت الموالي خضوعه وافتقاره للحق سبحانه بتكرار النداء لأهل الود أو المحبين، قال:

وَقُلْ يَا أَهْلَ وِدّي بِأَصْدَقِ لَهْجَةٍ لَكُمْ يَا أَهْلَ ودّي خُضُوعِي وَفَاقَتِي

فالتسليم لله والخضوع له مرتبط بمقام المحبّة، والشاعر محتاج مفتقر، فتكرر النداء يوحي بفرط شوقه والتهاب نار الود والحب لله سبحانه وتعالى، مشركا المتلقي الذي استقطب هذا الحال من خلال

*المؤلف المراسل.

موسيقى تكرار النداء. وبهذا جسّد سيدي أحمد بن مصطفى العلوي المراد من مقام المحبة في هذا الحال المتمثل في حال الشوق وإخلاص العبودية لله بالخضوع والافتقار. ليحدد لنا منطق الصوفية في مفهوم المحبة، مؤكدا أنه بذل النفس وكسر عزتها بالتذلل لأنه لا عزيز إلا الحق سبحانه.

ثم يؤكد أن أجلّ مقام عند أهل الصفاء هو مقام الحب " فإن الأمر الأوجب أن نحب مانح النفوس وجودها، والبديهة قاضية بأنني إذا أحببت فرعا فإن حبي للأصل أولى وألزم ومن انتبه إلى هذا استغرق في حب الله عن الأشياء وأغناه الأول عن الثاني ونادى مع الآية: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ (سورة التوبة، الآية:24) (الشاذلي، د. ت: 22) وبهذا ومن خلال تتبع بعض نصوص الديوان يمكن القول بأن محبة الواحد الواجد الماجد فوز ونجاة، وتجارة لا تبور، والعيش في كنفها أمان.

خاتمة:

اجتهدت الدراسة في تلقي لغة الخطاب الصوفي لدى الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي الذي يعد واحدا من الشعراء الجزائريين الصوفيين في العصر الحديث، ومن المؤسسين لمنهج العابدين العاملين بالكتاب والسنة، ومنهما استمد أنواره وأسراره،

*المؤلف المراسل.

حيث كان من بين الذين لا يهمهم من الدنيا والآخرة سوى الصفاء كوسيلة، والمشاهدة كغاية، فصدقه يظهر في انسجام خطابه الشعري الذي يبين فلسفته في حب الله تعالى. ومن أهم ما يمكن الخلوص إليه ما يلي:

1- الديوان بحاجة إلى إعادة تحقيق وإخراج، ويسترعي الانتباه من حيث إنه يحتاج إلى دراسات وبحث موضوعات عديدة سيأتي ذكر بعضها في التوصية.

2- خالف الشاعر ، في حدود قراءتنا، السابقين في اعتبار الوصل عتقا، والعتق يخشى به التفريق، فالمعهود أن المحب كان يجد في الوصل لذة وراحة، ومع هذا يبقى هذا الحكم أوليا، والمنتظر منا ومن الدارسين بحث المسألة للتأكد من تفرده في طرحها.

3- نوصي من خلال هذا البحث الكاشف المستكشف بحث المواضيع التالية: دلالات حضور الشيخ في ديوان المستغانمي، أشكال التناص في شعر المستغانمي، المعجم القرآني في شعر المستغانمي، دلالات حضور العقل ...، دلالة السر...، المريد وآدابه...، الحيرة وأبعادها.

الملاحق:

الملحق 1: قصيدة يا معشوقة، (مجزوء البسيط) (أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، د. ت: 45).

يا مَعْشُوقَه لَيْسَ لَكِ سَبَقَا	يَا خُمَيْرَةَ الأَصْلِ العَتِيقِ
رِفْقاً بِمَنْ يَرْتَضِيكِ رِفْقَا	مَهْلاً لاَ تُؤَاخِذْي العَاشِقِ

*المؤلف المراسل.

إِنْ كُنْتُ بِحُبِكِ لاَ نشْقَى كَيْفَ بِي إِذاَ صِرْتُ وَثِيقِ
كُنّا وَالْكَوْنُ كَانَ فِي رِتْقَا قَبْلَ فَتْقِ الْفَتْقِ وَالتّفْرِيقِ
فَلِعِزّتِكِ ذُلِي يَبْقَى وَخُضُوعِي وَدَمْعِي دَفِيقِ
وَإِنْ فَنِيتُ بِحُبّكِ أَبْقَى وَإِنْ بَقَيتُ أَبْقَى رَفِيقِ
وَإِنَّ وَصْلَكَ يَقْتَضِي عِتْقا فَالْعِتْقُ نَخْشَى بِهِ التَّفْرِيقِ
فَيَا خَيْبَتِي إِنْ عَدِمْتُ اللِّقاَ وَيَا بُشْرَايَ إِنْ حُزْتُ التَّحْقِيقِ

الملحق2: مقطوعة من قصيدة يا معشوقة، (مجزوء البسيط) (أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، د. ت: 45).

كُنّا وَالْكَوْنُ كَانَ فِي رِتْقَا قَبْلَ فَتْقِ الْفَتْقِ وَالتّفْرِيقِ
فَلِعِزّتِكِ ذُلِي يَبْقَى وَخُضُوعِي وَدَمْعِي دَفِيقِ
وَإِنْ فَنِيتُ بِحُبّكِ أَبْقَى وَإِنْ بَقَيتُ أَبْقَى رَفِيقِ
وَإِنَّ وَصْلَكَ يَقْتَضِي عِتْقا فَالْعِتْقُ نَخْشَى بِهِ التَّفْرِيقِ

الملحق 3: قصيدة دَارَتْ كُؤُوسُ الغَرَامْ، (البحر المجتث) (أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، د. ت: 39).

دَارَتْ كُؤُوسُ الغَرَامْ مَا بَيْنَ المَوَالِي
فَزَادَتْهُمُ اِصْطِلاَمْ حَالاً عَلَى حَالِ
قُلْتُ لَهُمْ يَا كِرَامْ هَلْ تَرْضُوا بِحَالِي
فَقَالُوا لِي يَا غُلاَمْ إِذَا كُنْتَ خَالِي
فَقُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ قَوْلَكُمْ فِي بَالِي
وَلَكِنَّ يَاكِرَامْ أَشْفِقُوا مِنْ حَالِي
إِنَّي كَثِيرُ الآلاَمْ ضَعِيفُ الأَعْمَالِ
ذِكْرُكُمْ لِي مُدَامْ وَحُبُّكُمْ مَالِي
إن لي فيكم هيام ليته يبقى لي

الملحق4: قصيدة لقد تهتكت والتهتك شيمتي، (البحر الطويل): (أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، د. ت: 27 -28).

*المؤلف المراسل.

خَلَعْتُ عِذَارِي لا أُبالِي بِعَاذِلٍ ... مَزَّقْتُ ثَوْبَ الوَقَارِ مِنْ فَرطِ نَشْوَتِي
وَغِبْتُ عَنِ الأَكْوَانِ مُنْذُ حَذَفْتُهاَ ... لَمّا آنَسْتُ فِي الحَيَّ نَارَ الأَحِبَّةِ
قُلْتُ امْكُثُوا لأَهْلِي فَلَعلَّنِي أَجِدُ ... هَادِيًا فَوَجْدْتُ هُدَايَ فِي حيرَتِي
خَلَعْتُ النَّعْلَيْنِ بَلْ خَلَعْتُ مَا عَلَيْها ... وَمَا دُونَهاَ كَذاَ الوُجُودُ بِخَلعَتِي
ثُمّ رَاجَعْتُ نَفْسِي فِي تَحْقِيقِ حَقّها ... فَوَجَدْتُهَا نُوراً فِي نَارِ صُورِيّتِي
وَهُنَا يُصلَى العُشّاقُ فِي العِشْقِ لَظَى ... تَرْمِي بِشَرَارِ الطّرْدِ لِلْمُتَعَنّتِ
فَدُونَكَ مِنْ شُعَاعِ الحَقِ حَقِيقَةً ... إذاَ كُنْتَ ذاَ بَصَرٍ تَراهُ فِي مِرْآتِي
وَكُنْ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بِنَفْسِكَ كَائِناً ... لِأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ بِنَصِّ الشّرِيعَةِ
هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينُ مِنْ الدَهْرِ ... أَلَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِأَوْضَحِ حُجَّةِ
فَارْجِعْ بَصَرَ التَحْقِيقِ مِنْ بَعْدِ كَرّةِ ... فِي كُنْهِكَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَ الكَيْنُونَةِ
وَقُلْ يَا أَهْلَ وُدّي بِأَصْدَقِ لَهْجَةِ ... لَكُمْ يَا أَهْلَ ودّي خُضُوعِي وَفَاقَتِي
وَإِنْ قَلّ بَاذِلٌ لِنَفْسِهِ فِي الهَوَى ... لِعِزّتِهاَ وَفِي عِزِكُمْ ذِلّتِي
فَجَلّ مَقَامُ الحُبّ عَنْ كُلِ سِيرَةٍ ... فَمَذْهَبْ أَهْلِ الهَوَى وُحُسْنِ العَقِيدَةِ
فَلِي حَبِيبٌ وَالمَحَبَّةُ بَيْنَنَا ... وَلَسْتُ أَخْشَى سِوَى مَا فِيهِ قَطِيعَتِي
وَلَوْ كُنْتُ صَادِقاً وَفِي الحُبُ رَاسِخاً ... لَماَ خَشَيْتُ أَمْراً مَعْدُومَ الحَقِيقَةِ
فَمَتَى يَكُونُ الفَصْلُ وَالوَصْلُ حَاصِلٌ ... إلاّ مُجَرّدَ تَخْيِيلٍ تَأْبَاهُ سَجِيّتِي
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الحَبِيبُ الّذِي نَرَى ... فَهَلْ طَلَبْتُ غَيْرِي أَمْ نِفْسِي مَطْلُوبَتِي
فَإِنْ كُنْتُ ذَلِكَ أَنَا بَلْ حُبّي أَرَدْتُهُ ... فَمَطْلُوبِي مِنْ نَفْسِي وَإِلَيّ غَايَتِي
وَهَلْ هَذَا مُمْكِنٌ فِي نَفْسِي كَائِنٌ ... مَطْلُوبٌ وَطَالِبٌ فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
فَهَذَا عِشْقُ المَعْشُوقِ فِي العِشْقِ حِيرَةٌ ... وَكَانَ حُبّ الحَبِيبِ يُرَى مِنْ زَلَّةٍ
فَكَيْفَ يَكُونُ الحُبُّ إِنْ كَانَ وَاحِدًا ... وَمَتَى يَكُونُ القُرْبُ فِي الفَرْدِ المُثْبَتِ

قائمة المصادر والمراجع:

1 -ابن الأثير ضياء الدين، (د. ت). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح: الحوفي و بدوي طبانة، مصر، دار نهضة القاهرة، الفجالة.

2 -أحمد أمين، (1933). **التجديد في الأدب، الرسالة لمؤسسها أحمد حسن الزيات**، ع: 6، 1أبريل، ص ص 7 -9.

*المؤلف المراسل.

3 -أحمد أمين، (1933). **التجديد في الأدب، الرسالة لمؤسسها أحمد حسن الزيات**، ع:14، 1أوت، ص ص 7 -9.

4 -بوسغادي حبيب، (2020). حضور المصطلح الصوفي في قصائد الشيخ أحمد العلاوي قصيدة دمعي مهطال نموذجا، **مجلة الكلم**، المجلد 5، ع:1، ص ص 14 -37.

5 -جميل عبدالمجيد، (1998). **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية - دراسات أدبية**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

6 -حبار مختار، (1997). **الإيقاع في الشعر القديم الجزائري**، وهران، ديوان المطبوعات الجامعية.

7 -الخضر حسين محمد، (2012). **القياس في اللغة العربية**، القاهرة، دار الفضيلة.

8 - الخضر حسين محمد، (د. ت). **موسوعة الأعمال الكاملة(23) هدى ونور**، دار النوادر.

9 -راجعي مصطفى، (2013). ظهور الإصلاح الصوفي في الجزائر الكولونيالية: حالة الشيخ أحمد مصطفى العلاوي المستغانمي (1869 -1934). ، **مجلة الحوار الثقافي**، المجلد 2، ع: 1، ص ص 150 -157.

10 -الراغب الأصفهاني، (2007). **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، ت: أبو اليزيد العجمي، مصر - القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

11 -السيد الصاوي أحمد عبد، (1979). **النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني -دراسة مقارنة**، الإسكندرية - مصر: الهيئة العامة للنشر والتوزيع.

12 -الشاذلي عبد الله يوسف، (د. ت). **التصوف الإسلامي في ميزان الكتاب والسنة**، ج2 و ج3، وج5، مكتبة الأزهر.

13 -طوالبي الثعالبي عصام، (2017). الاجتهاد والتجديد عند الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، **مجلة الحوار الثقافي**، المجلد 7، ع:1 ، ص ص 36 -50.

*المؤلف المراسل.

14 -طوالبي الثعالبي عصام، (2017). الحقوق الإنسانية في الشريعة الإسلامية من خلال مخطوط "الأجوبة العَشْرَة" للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، المجلد13، ع:1، ص ص 10 -43.

15 -بن عربي محي الدين، (د. ت)، **كتاب مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية**، بيروت، دار المطبعة الأنسية.

16 -العلوي المستغانمي أحمد بن مصطفى ، (د. ت). **الديوان الشعري**، الجزائر: المكتبة الدينية العلوية المستغانمية. المطبعة العلوية بمستغانم.

17 -القاشاني، (1981). **الاصطلاحات الصوفية**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

18 -الماوردي، (1985). **أدب الدنيا والدين**، تح: محمد كريم راجح، بيروت، دار اقرأ.

19 -بن المدبر إبراهيم، (2002). **الرسالة العذراء**، تح: زكي مبارك، ط2، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.

20 -بن مزوز عامر، (2022). الشيخ أحمد بن عليوة المستغانمي(1869 - 1934): مكانته الدينية والعلمية بين التعظيم والتقزيم، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، المجلد8، ع:1، ص ص 562 -590.

21 -ناجي محمد، (1939). **قواعد النقد الأدبي في العربية، الرسالة لمؤسسها أحمد حسن الزيات**، ع: 320، 21 أوت، ص ص 1642 -1643.

22 -نويهض عادل، (2015). **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، الجزائر دار الوعي للطبع والنشر والتوزيع.

23 -اليازجي إبراهيم، (1905). **نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد**، مصر، مطبعة المعارف، الفجالة.

*المؤلف المراسل.